الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ (١كو١٥: ٢٣)

من القيامة
إلى الصعود
إلى يوم الخمسين

❀ ❀ ❀

عندما دخل بنو إسرائيل إلى الأرض وحصدوا الحصيد، كان عليهم أن يأتوا بحزمة الترديد[١]، وهي أول الحصيد، إلى الكاهن (لا ٢٣: ٩ – ١١). حزمة أول الحصيد ترمز إلى الرب المُقام من بين الأموات والصاعد إلى الآب (يو٢٠: ١٧)، باكورة الحصاد الذي تأتي به "حبة الحنطة" إذ ماتت لتأتِيَ بثمر كثير (يو ١٢: ٢٤).

وفي يوم الخمسين كان عليهم أن يُقدِّموا «خُبْزَ تَرْدِيدٍ، رَغِيفَيْنِ مِنْ دَقِيق، بَاكُورَةً لِلرَّبِّ» (لا٢٣: ١٧). لكن قد سبق وقرأنا أنَّ حزمة الترديد كانت هي الباكورة، فكيف يكون هذان الرغيفان المخبوزان باكورة؟ إنَّ شعب المسيح المقام لهم نفس الحياة التي له الآن، وهم شركاء طبيعته وشركاء مركزه وعلاقته بالآب. رغيفا الخبز، المُقدَّمان للرب في يوم الخمسين، يرمزان إلى الكنيسة التي تكوَّنت في يوم حلول الروح القدس، والتي تتكوَّن من عنصرين هما: اليهود والأمم. اليهود نراهم يدخلون في يوم الخمسين (أعمال ٢)، والأمم في حلول الروح القدس على الأمم «كَمَا لَنَا أَيْضًا (لليهود) بِالسَّوِيَّةِ» (أع ١١: ١٧). والرسول بولس في الرسالة إلى المؤمنين في رومية يقول إنَّ النعمة أُعطيت له من الله «حَتَّى أَكُونَ خَادِمًا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ الأُمَمِ، مُبَاشِرًا لإِنْجِيلِ اللهِ كَكَاهِنٍ، لِيَكُونَ **قُرْبَانُ الأُمَمِ** مَقْبُولًا مُقَدَّسًا **بِالرُّوحِ الْقُدُسِ**» (رو ١٥: ١٦)، ففي هذه العبارة الأخيرة نجد الارتباط واضحًا بين «قُرْبَانُ الأُمَمِ» الذي كان يُشير إليه "رغيفا الترديد" والذي قدَّمه الرب للآب بصعوده ببني البشر حيث «**أعطاهم قربانًا لأبيه**»[٢]، وبين حلول الروح القدس في يوم الخمسين.

---

(١) كلمة ترديد تينوفاه תְּנוּפָה: من مصدر نوف נוּף (الذي يعني هزَّ أو حرَّك ذهابًا وإيابًا) وهي من الكلمة العربية نَعَفَ: مَا انْحَدَرَ مِنْ الْجَبَلِ وَارْتَفَعَ عَنْ مُنْحَدَر الْوَادِي، هُوَ مَا انْحَدَر عَنِ السَّفْح وغَلُظ وَكَانَ فِيهِ صُعود وهُبوط (لسان العرب).
(٢) صلاة قسمة عيد القيامة والخمسين المقدَّسة.

لكن حينما نتقدَّم في العهد الجديد لا نجد بعدُ رغيفَين، بل رغيفًا واحدًا «فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ» (١كو ١٠: ١٧)؛ تعبيرًا عن وحدة الكنيسة. إذًا، فإن حزمة أول الحصيد والتي ترمز إلى المسيح المُقام، قد قُدِّمت أمام الآب، وقد قُبِلَ له المجد هناك. وقد تغلَّبت وحدته على الثنائية الموجودة في مكوِّنات الكنيسة.

لقد مَلك الموت على الإنسان، لكن وُجد شخصٌ لم يكن للموت سلطانٌ عليه، لكنه دخل إلى الموت، ثم قام «المسيح من بين الأموات، وصار باكورة الراقدين» (١كو ١٥: ٢٠). والذين رقدوا في المسيح هم باكورات الحصاد الأخرى، لقد قال الرب: «إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ» (يو ١٢: ٢٤).

أتى الروح القدس يوم الخمسين لكي يُكوِّن الكنيسة[٣] ويقدِّمها أمام الله في كل قبول ذلك الشخص المبارك وعمله، الذي مجَّد الله الآب تمامًا بموته والذي أقامه الله من الموت، وأجلسه عن يمينه في المجد و«جَعَلَهُ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ» (أف ١: ٢٢ – ٢٣).

في العهد القديم، كان الروح القدس يَحلّ على أشخاص، لأداء وإنجاز مهَام خاصّة معيَّنة، مكوِّنًا علاقة وظيفية معهم، لكنه لم يسكن فيهم. فشمشون كان «روح الرب يُحرِّكه» (قض ١٣: ٢٥) «وَحَلَّ عَلَيْهِ» (قض ١٤: ١٩)، فقتل بلحي حمار ألف رجل (قض ١٥: ١٦). كانت فيه قوة خارجية جبَّارة ولكن هشاشة في الداخل، فعندما ألحَّت الخطيئة عليه سقط. فلا نجد للروح القدس **مُستقرًّا** في العهد القديم «لَمْ تَجِدِ الحَمَامَةُ **مَقَرًّا** لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الفُلْكِ» (تك ٨: ٩). لم يجد الروح القدس على الأرض، الشخص الذي يُمكنه أن يستقرَّ عليه، إلى أن جاء الذي قيل عنه «الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا **وَمُسْتَقِرًّا** عَلَيْهِ، فَهذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ» (يو ١: ٣٣). كما أنَّ عمل الفداء لم يكن قد تمَّ بعد «الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَم يَكُن قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ» (يو ٧: ٣٩).

لكن لمَّا أتى الرَّب يسوع إلى أرضنا، انفتحت له السماء، «وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثلِ حَمَامَةٍ» (لو ٣: ٢١ – ٢٢). وهذا ما عبَّر عنه الكتاب «أَتَتْ إِلَيْهِ

(٣) الكنيسة ككائن حي (organism) وليست كمؤسسة (organization).

الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا» (تك ٨: ١١). فبعد أن تمَّم عمل الفداء على الصليب، أعلن الروح القدس أنَّ الدينونة قد انتهت والحياة قد ظهرت، وأنَّ هناك **سلامًا** قد صُنِعَ بموت ربنا يسوع المسيح، وذلك على أساس الكفارة، وهذا ما عبَّرت عنه ورقة الزيتون الخضراء.

نزل الروح القدس يوم الخمسين[٤]، ليُعلن أن هناك شخصًا قد تمجَّد بالجسد واستقر في السماء. وبتعبير سفر التكوين "واستقرَّ الْفُلْكُ عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ" (تك ٨: ٤)، ومِن هناك مِن قمة المجد، أُرسل الروح القدس ليشهد عن المسيح الموجود عن يمين العظمة في الأعالي، أنَّ عَمَله قد تمَّ، ومنذ ذلك الحين سكنَ الروح القدس واستقرَّ على قديسي العهد الجديد. فسُكنى الروح صارت الآن علاقة انطولوجية معنا، أي أنه يُغيِّر في ذات كياننا، يجعل كياننا يندمج مع روح الله، فيمتلئ المؤمن بالروح ليُنتج ثمرًا داخليًّا كيانيًّا، ليس ماذا فعلتُ وأنتجتُ وحققتُ في خدمة الرَّب، لكن ماذا أكون أنا who am I.

الحياة التي كانت في حبَّة الحنطة أتت بثمرٍ كجنسه؛ حيوات أبديَّة في قديسيه. الحياة الأبدية كنوعية حياة، هي حياة الله ذاته، إنها ليست حياةً من الله، إنها حياة الله لنا في ابنه، «اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ **فِي ابْنِهِ**» (١يو ٥: ١١)، وليست فقط منه. فطابع حياة المسيح فينا أن نستقبل نحن، من الآن، الآب والابن والروح القدس (يو ١٤: ٢٣؛ ١كو ٣: ١٦) ونتمتع بالشركة والحب العميق الجاري بينهم. هذه هي العلاقة الجديدة للقديسين مع بعضهم ومع السيد كأهل بيت الله (أف ٢: ١٩)، وهو البكر من الأموات، فـ«الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ فَلِهذَا السَّبَبِ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً» (عب ٢: ١١)، فكوننا أصبحنا "من واحد" مع الرب يسوع، هذا هو الأساس الوحيد الذي مكَّن المسيح ألَّا يستحي بأن يدعونا إخوة.

الروح القدس رباط وحدتنا في المسيح

فأن نصبح جسد المسيح لا بد أن يكون لنا ذات حياته. فحياة الرأس لا بد أن تكون في الجسد، وحياة الجسد هي من الرأس. ثمّ إنَّ الآب لم يجد للمسيح معينًا نظيره سوى

---

(٤) كان اليهود يعتقدون أنَّ يوم الخمسين يوافق يوم إعطاء الله الناموس لموسى على جبل سيناء حيث تكلَّم الرب معه. لكن ما أبعد الفارق بين يوم إعطاء الشريعة في يوم الخمسين على الجبل حيث مات ٣٠٠٠ شخص (خر ٣٢: ٢٨) ويوم نزول الروح القدس يوم الخمسين حيث آمنت ٣٠٠٠ نفس (أع ٢: ٤١).

الكنيسة[٥]، والمسيح لم يجد لذَّاته فينا فحسبْ (كما كان يجد مع إبراهيم)، ولكن أفكاره وجدت من يفهمها ويستوعبها «أَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ» (١كو٢: ١٦)، ويحاول أن يطيعها طاعة كاملة. كما أن عواطفه ومحبته وجدت مُسْتَقَرًا لها في قلوبنا، بل تعلَّمت قلوبنا كيف تعزف صدى حبه سجودًا ساميًا يرقى إلى حياة أبدية. كل هذا بفضل الحياة الأبدية التي وُعد بها للمسيح في الأزل (تي١: ٢)، وأُظهرت بالتجسُّد (١يو١: ٢)، وأَثمرت بالموت (يو١٢: ٢٤)، وأُعلنت في الإنجيل، ووُرِّثت لنا بالقيامة، إلى أن سكنت واستقرَّت في قلوبنا في يوم الخمسين.

إنَّ نبع المحبة الذي لا ينضُب ظَهَرَ هناك خارج أسوار أورشليم حيث صُلب ربنا؛ هناك في الصليب كُسِر قلب ابن الله؛ وفاضت المحبة الإلهية وغمَرَ عبيرها كل الكون. وهذا هو برهان محبة الله لنا: الصليب، وليس عطاياه الزمنية أو الروحية. ليتنا نُنمِّي علاقتنا الحميمية مع شخصه، ونخلق روابط روحية بعضنا مع بعض.

أخي، الله من الأزل وإلى الأبد محبة، ومحبته لا تتأثر بسلبياتنا. فالناس تُحبنا لِما نحن عليه؛ ربما لعطائنا أو مَرَحنا أو رقتنا أو مركزنا أو ... وأمَّا المحبة الإلهية فلا تتوقف علينا، ونحن لا نُؤثِّر فيها. إنَّ ضمان محبة الله هو في طبيعته غير المتغيرة. لذلك إنَّ أفضل ما لدينا من أشعار وأجمل ما أوتينا من أفكار، لتسبيح الرب وحمده، ما هي إلَّا صدًى ضئيلٌ لِما قدَّمه لنا.

والآن بعد أن مضى زمن الرموز والذبائح وجاء زمن الساجدين الحقيقيين، ليس مطلوبًا منَّا أقل من أن نقدِّم المسيح للآب. الآب يريدنا أن نُردِّد أمامه الابن ترديدًا، ليس بجميل العبارات في الاجتماعات، بل بإظهار جماله فينا وسط احتكاكات الحياة. نُردِّده أي نستعرضه في سلوكنا ومشاعرنا وأفكارنا. نُردِّده أي يراه الآب فينا في صمتنا وفي كلامنا، في أعمالنا وفي بيوتنا، في محبتنا لبعض وفي احتكاكنا ببعض. يراه في حياتنا، ثم يراه في أحاديثنا عنه مع الآخرين، أي في شهادتنا عنه؛ ثم أخيرًا يراه في شكرنا وعبادتنا.

عندما قام المسيح من الموت بَرْهَنَ لتلاميذه حقيقةَ قيامتِهِ، فرأوه وسمعوه ولمسوه وصدَّقوا أنه قام. وقبيل الصعود نفخ وأعطاهم الروح القدس لينالوا قوة قيامته كعربون

---

(٥) يُقال عن الكنيسة إنَّها نازلة «من عند الله ἀπὸ τοῦ θεοῦ» (رؤ ٢١: ٢ و١٠)؛ وعبارة "من عند الله" قيلت عن المسيح أيضًا، إنه خرج «من عند الله ἀπὸ τοῦ θεοῦ» (يو ١٣: ٣).

لانسكاب روحه بعد صعوده (يو ٢٠: ٢٢). فكما أنَّ القيامة مع المسيح عربون الصعود معه كذلك قبول نفخة الروح القدس هو عربون حلوله وسكناه وملئه الدائم المستمر المستقر في الكنيسة جسد المسيح.

أخي، إنَّ رؤيتنا لموقف الله من الخطيئة في الصليب، لا بدَّ أن تملأ قلوبنا بالبُغضة لها وتقودنا لحياة القداسة. ورؤيتنا لمحبة الله التي استُعلنت لنا في الصليب في بذل ابنه عنا، تدفعنا للتكريس له «لِيَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ» (٢كو ٥: ١٥). وإدراكنا لمحبة المسيح للكنيسة، تجعل الأزواج يحبون زوجاتهم ببذل نفوسهم عنهن (أف ٥: ٢٥). وفهمنا لمعاملات الآب المُحب الحكيم معنا، ترشدنا لكيفية تربية أولادنا بالمحبة. وفهمنا لحقيقة العالم، تقودنا للانفصال عنه ولاشتهاء الحياة الأبدية. وبكل ذلك نستطيع أن "نردِّد" ذبيحة المسيح أمام الآب في حياتنا. وهكذا فقد توفَّر لنا الآن أفضل بلا قياس مما كان متوفرًا لمؤمني العهد القديم.

✠✠

✠✠✠✠(أقوال خالدة عن الروح القدس)✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠

✠ الروح القدس بسيط غاية البساطة، يُلبِّي دعوة الإنسان في الحال إذا كانت بإخلاص وإيمان وبساطة.

✠ إن كان المسيح تجسَّد فلكي يُصلَب، وإن كان قد صُلِب فلكي يقوم، وإن كان قام فلكي يصعد، وإن كان قد صعد فلكي يُرسِل الروح القدس.

✠ الملء بالروح هو احتلال الروح لكل الكيان ليصير كيان الإنسان كيانًا لله، جسدًا للمسيح.

✠ الروح القدس يغشانا ولا يُلاشينا. يملأنا ويظل مستترًا فينا. يتشخص فينا بنفسه ولا يُظهِر إلَّا شخصنا. ينطق فينا جهارًا ولا يُسمَع إلَّا صوتنا. يُرافقنا كل لحظة ولا نُرى إلَّا وحدنا. يهبنا معرفة كل الحق وكأننا نعرف من أنفسنا. يحرِّر نفوسنا من قيود الدنيا وكأننا تحررنا بجهدنا.

✠ الروح القدس لا يُحوِّل الإنسان إلى روح محض ولا يلغي المادة، وإنما يجدِّد نظرتنا، ويُعدِّل غايتنا، ويُحوِّل طريقنا من المستوى المادي المحض إلى المستوى الروحي في استخدام غرائزنا ومواهبنا وعواطفنا.

عن كتاب "أقوال خالدة للأب متى المسكين" ص ١٠٨ – ١٠٩